عليكم منها . ليت شعري إلام تدعو إلى اليقظة فتنامون ، وإلى الحذر فتستلمون ، وإلى العزة فتهنون ، وإلى الاستقلال فتتبعون ، وإلى الاجتهاد فتتقاعدون ؟

كفى يا قوم بالزمان واعظاً ، وبالتجارب هادياً . إنكم في مهب العواصف ، ومفترق الطرق ، فخذوا حذركم ، وتنبهوا عقولكم واشحذوا عزائمكم ، ولا تصدروا إلا عن بينة ، ولا تقولوا إلا عن روية ، فانه الحياة أو الموت ، والبقاء أو الفناء

الخاتمة

رأى القراء مما قدمت أن الترك الكماليين لم يأتوا بجديد في هذه « النهضة التركية الأخيرة » ولكنهم ساروا على سنن أوربا فأحسنوا وأساءوا . أحسنوا بما أخذوا بأسباب الحياة فاجتهدوا في تعمير بلادهم وإسعاد أهلها ، وتوسلوا لمعارك الحياة بعددها فدربوا الجيوش واستكثروا من السلاح وجعلوا أنفسهم سادة بلادهم . وأساءوا بما تبعوا أهل أوربا في امور هي من نُفايات الحضارة ، وحثالات المدنية ، وبما هجروا من أجل ذلك كثيراً من سنن دينهم القويم ، وأخلاقهم الكريمة ، وتاريخهم المجيد . وأذكر في هذه الخاتمة ما قاله في أوربا بعض أولي الرأي منذ سنين : قال : « كأن الكماليين بما يفعلون اليوم يقولون يا أهل أوربا ! معذرة ، لا تؤاخذونا بما فعل آباؤنا فقد حاربوكم جهدهم ، وجالدوكم ما استطاعوا ، ودافعوكم جهد طاقتهم ، وما كانوا ينشرون حضارة أو يدافعون عن حضارة . وها نحن أولاء نعترف بأن الخير في اتباعكم ، والشر في مخالفتكم ، وإن آباءنا أبَوا إذ منعوا عنا خيركم ، فاقبلوا الأبناء في جماعتكم ، ولا تأخذوهم بذنب آبائهم . ها نحن أولاء نحني رؤوسنا إكباراً لكم ، ونلوم أجدادنا من أجلكم . »

وبعد . فهذه الكلمات التي كتبتها لا تفي بهذا الموضوع العظيم ، ولا بد أن يتعاون الكتاب والمفكرون في هذه السبيل حتى يجلوا عن الأمة هذه التمة ، ويدفعوا عنها هذه الفتن المدلهمة ، والشبه المضلة ، ثم يسيروا بها على المحجة البيضاء إلى الغاية المجيدة . فانما نحن في فتن لا عذر فيها لمقصر ولا حجة فيها لمتهاون

وما أردت بما كتبت إلا وجه الله ، والله هو الحق المبين . وهو حسبنا ونعم الوكيل « إن أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . »

عبد الوهاب عزام

المدنية الأمريكية

كما يصفها أندريه موروا

للأستاذ محمد روحي فيصل

أندريه موروا كاتب فرنسي معاصر ، وروائي واسع الشهرة ؛ وهو الآن في الخمسين من عمره ، يكتب كثيراً ويعمل كثيراً ، ولعله « الحركة الدائمة » التي ينشدها علماء الطبيعة ، والغريب أن انتاج موروا على كثرته خصب عميق ، فيه ملاحظات نفسية قيمة ، وفيه وصف بارع طريف ، وفيه حلاوة قل أن تجدها عند غيره من الكتاب والروائيين

قام بسياحة إلى أمريكا منذ حين ، زار في خلالها مدن الشواطئ الشرقية ، ورأى آثارها ، وحاضر في جامعاتها ، وفهم في شهرين حقيقة المدنية الأمريكية ومظاهرها الصحيحة ، ثم عاد إلى وطنه وألقى محاضرة قيمة طويلة نقتطف منها ما يلي :

« وصلت باخرتنا إلى نيويورك في الصباح الباكر فراعتني المدينة العظيمة النائمة ، وطغى على شعوري غريب جميل . والحق أن مرفأ نيويورك منظر لا أعرف أبهج منه ولا أروع ولا آخذ بلب الرائي المعنن ! بقينا على الماء نسير خمسة أيام ثم طلعت علينا نيويورك بوجهها الضخم وهيكلها المريض كما يطلع الجبل الشاهق على المسافر العاني بعد طول السير وطي الأميال . وجُلنا في الشوارع نسير على غير هدى ، فاذا المباني ضخمة بالغة الضخامة ، متينة بالغة المتانة ، تشق الفضاء طولاً وعرضاً واتساعاً . ونلاحظ أن الضخامة مظهر من مظاهر الجمال ، وأعني أن جمال الشيء إنما يرجع أحياناً إلى ضخامته الناشزة ؛ أرأيت إلى أهرام مصر أو قصر (بيتي) كيف أن علوها خلع عليهما جمالاً خاصاً على جمال الفن والهندسة »

« والأمريكيون شعب يعمل في جنون ، فلا يريح جسده ولا يريح عقله ، وإنما يجهدهما في التجارة والصناعة والاختراع ؛ وهذه الظاهرة هي أقوى ما يلمح العابر السائح من الصور . ويل للمحاضر في أمريكا ! إنه يخضع للحركة الأمريكية الطاغية ، ففي الصباح يلقي محاضرة ، وعند الظهر يرأس حفلة خطابية ، ثم يحاضر في نادي النساء ، وفي الساعة الخامسة يقول كلمة في جامعة كولمبيا أو الاتحاد الفرنسي ؛ وأني لرجل يجد برنامجاً طويلاً سريعاً يبتدئ من الصباح وينتهي في منتصف الليل ! »

« إن العقلية الأمريكية تتطلع إلى عرفان كل شئ ، وتولع بالجديد الغريب ؛ وهي عقلية فتية تؤمن سريعاً وتكفر كثيراً ؛ وأنت لابد ناجح في أمريكا إن كنت روائياً طريفاً ناقداً متفلسفاً . والكاتب الناشئ يغدو معروفاً في أقل من شهرين ، تقام له الحفلات الرائعة ، وتتحدث إليه الصحف ، وتطبع مؤلفاته مراراً ثم ... ثم يموت في أذهان الجمهور ، وينحدر إلى الخمول والنسيان ، كأنما هي شهرة خاطفة تمتع بها قليلاً وحلم فيها كثيراً ثم عاد إلى الواقع المجهول يتفيأ ظلال الذكرى وبقايا المجد ! »

« والشخصية الفردية لا أثر لها في أمريكا على الأطلاق ، والسعادة الروحية لم يتمتع بها الأمريكي بعدُ لذاته ؛ دائماً (خدمة الجمهور) هو المذهب السائد الذي يؤمن به الأمريكيون كافة ، وهو مذهب ، على قيمته ، خطرٌ كل الخطر ، مفسد للشخصية والنبوغ ، لأن المرء الذي لايبالي بوجوده الفردي يعد آلة تعمل من غير شعور ولاتطور . والواقع أن المصانع قامت مقام اليد العاملة ، والآلة طغت على الفن ، « والكثرة » هي القياس الذي توزن به قيم الأعمال ونتائج الأشياء »

« وهذه المساوئ التي نذكرها ويذكرها غيرنا ليست مساوئ النفسية الأمريكية ، وإنما هي مساوئ المدنية الغربية الحاضرة . ولئن مات الفن اليدوي في أمريكا وعاشت الآلة فإنما يموت الفن وتحيا الآلة في فرنسا وانجلترا وألمانيا وايطاليا ؛ ونستطيع أن نستثني مهنة النقوش والخياطة والفسيفساء التي يمارسها القليل من الخلائق البشرية ؛ أما عامة الشعب فمحشود في المصانع يعمل مجتمعاً من غير تفكير في الذات ؛ والأدب الأمريكي أدب الصناعة حقاً ، يصور ميكانيكية العمل وسرعة الحياة واضطراب المجتمع ؛ أما أزمات النفس ، وثوران العواطف ، وانفعالات الأهواء ، فهي غريبة نكرة في الأدب الأمريكي الحديث . . . . . »

الواقع أن الحياة الحاضرة حياتان : حياة آسيوية أخروية متشائمة ساخطة ، نظرت إلى الدنيا من خلال منظار أسود كئيب ، فرأت جوعاً وفقراً ومرضاً وظلماً ، فكرهت المجتمع الحافل ، وانعكفت على التصوف وأحبت الأحلام ، ثم قالت : إنما الدنيا متاع الغرور ! . وحياة أمريكية دنيوية صناعية لا تبالي بالباطن العجيب ، ولاتعنى إلا بالأرض ؛ فالأمريكي قل أن يلتفت إلى نفسه يطالع فيها ويتأمل جوانبها على نحو ما يفعل الأسيوي الحالم ، وإنما هو يطالع في الآلة والمصنع والأرض ، ثم يحاول أن يجد السعادة فيما يحيط به من الدنيا الواقعة المحسوسة

وعندي أن الحياتين على نقمهما لاتصلحان للبشرية ، فالتطرف مذهب لا أحبه لنفسي ولا أرضاه لجنسي ، وإنما أرجو حياة وسطاً بين الحياتين ، قوامها الحس والتفكير ، ومادتها الدنيا والنفس ، وغايتها التقدم والمرح والانتاج . ولعل الحياة الأوربية هي الحياة التي تجمع خصائص الحياتين المتطرفتين: الأسيوية والأمريكية ..

وهنا قد يستطيع الفرنسيون أن يوفقوا بين هذه وتلك ، وينشروا الاعتدال ؛ فالمدنية الفرنسية مدنية قديمة ذات أدب خصب صحيح ، لها أنصار كثيرون ، ولها ماض جليل حافل ؛ ولها صناعة قوية جميلة . وإنما المهم أن يعرف الفرنسيون أي سبيل يسلكون لذيوع الثقافة الفرنسية وتأثيرها في العقول . ولقد ينبغي قبل كل شيء أن نفتح أعيننا جيداً حين نطوف البلاد ونجول الأرجاء ، ثم نرسل العقل حراً في البحث والتفكير ، والمطالعة والاستنتاج »

محمد روحي فيصل